المذاكـرة عنـد المحدّثين تاريخهـا وفوائدهـا

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠٣/٥/١٢ تاريخ قبـوله للنشر ٢٠٠٤/١/٦

محمد إبراهيم السامرائي*

Abstract

Narrators' deliberation and retention is an Act that shows the narrators' interest and dedication in choosing the methodology in remembering the prophet's sayings. They have used various methods that drew clear lines between serious trustworthy narrators' and non trustworthy ones. Trustworthy narrators have achieved high ranks and enjoyed respect.

ملخّص

إن المذاكرة عند المحدثين تظهر لنا الدقة التي سلكها أهل العلم في بيان المحفوظ في الصدور خاصة، وكيف كان منهجهم في المذاكرة ورغبتهم بها، بحيث تنوعت عندهم لأهميتها، فكشفت الأئمة الذين تصدّروا لها من الذين لا يُعوّل عليهم وكان عندهم أحد أساليب الفحص التي أظهرت المتقنين من أصحاب هذا الشأن،

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فإن مدارسة الحديث الشريف بين أهله مزية لهم أبانت عن منهجٍ فريدٍ في تثبيت الحفظ لما يجري من تذكار المحفوظ وسيلانه فيما بينهم فيكونون قد اغتنموا أوقاتهم بالمداومة على المحفوظ لأنهم تعودوا أن الجديث يذكر الحديث وأجدر أن لا ينسى بينهم ويتخلصوا من آفة النسيان بل ربما ظهر التلذذ عندهم وهم يتذاكرون المحفوظ كما قال ابن المبارك منشداً في ذلك:

ما لذتي إلا روايـة مسند ... قد قيدت بفصاحـة الألفاظ
ومجالس فيها عليّ سكينَة ... ومذاكرات معاشر الحفاظ(١)

* كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك - إربد.

وهذا عبد العزيز بن حازم يذكر عن أبيه قوله: كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال: اليوم يوم غُنْمي فيتعلم منه، وإذا لقي ممن هو مثله قال: اليوم يوم مذاكرتي، فيذاكره، وإذا لقي من هو دونه علّمه ولم يزد عليه، حتى صار هذا الزمان، فصار الرجل يعيب ممن فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لا يرى الناس أن له إليه حاجة، وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره فهلك الناس عند ذلك(٢).

والاشتغال بالمذاكرة ديدن الحفاظ من وقت مبكر فإن كثيراً من الصحابة –رضي الله عنهم– انصبت وصاياهم لتلاميذهم على مداورة الحديث ومذاكرته، وكان للمذاكرة أهلها من العلماء وكانوا يتعهدون أيامهم، يلزمون أنفسهم ولو بجزء من الليل، فكانت ذات فوائد جمةٍ فزادت من ضبطهم، وأظهرت شرف أهلها ومنزلتهم وبينت محفوظاتهم وعدد ما يحفظون، ونقل لنا من تصدر لها حتى استدركوا ما فاتهم وأحيت في صدورهم ونفوسهم شرف الذكر وكانت للعلماء أوقات يتذاكرون فيها وربما انشغلوا بها حتى عن النوافل فزادهم الله رفعة وشأواً، ولم يقتصروا على فن واحد عند لقاءاتهم بل كان وقتهم بمذاكرة الحديث والفقه والمسائل وربما ذكروا الرواة ومن أتقن ممن لم يتقن. فتكشف المذاكرة عوار من لم يحفظ ويقيم حديثاً، وتكشف الضعفاء وغيرهم من الرواة بها.

ومع ذلك فهي بينهم وسيلة لقاء لا رواية وضبط.

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المبحث الأول:

المطلب الأول: المذاكرة ومعناها.

المطلب الثاني: تاريخها.

المبحث الثاني:

المطلب الأول: فوائد المذاكرة

المطلب الثاني: المذاكرة عند الحفاظ

المطلب الثالث: أوقات المذاكرة وأماكنها

المبحث الثالث:

موضوعات المذاكرة

المطلب الأول: انتقال الرواية بين الحفاظ.

المطلب الثاني: الكشف عن الحفاظ من غيرهم.

المطلب الثالث: الكتابة عن المحدث والرواية حال المذاكرة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول:

المطلب الأول: معنى المذاكرة، تاريخها:

مأخوذة من الذكر بالكسر الحفظ للشيء ومنه قولهم ذكرت لفلان حديث كذا وكذا أي قلته له(٣) وقال الراغب الأصفهاني: الذكر تارة يراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره واستحضار الحفظ للشيء وما يجري على اللسان وهو منصب على المدارسة والحفظ بين اثنين فأكثر.

وقد عرفها الدكتور عبد الرحمن الخميس: أن يجتمع محدثان فأكثر فيستذكران الأحاديث فيما بينهما من غير قصد روايتها ودون الحرص على الإتقان والضبط فيها(٤).

ويذاكر طالب العلم بمحفوظاته من ذلك من يشتغل بالفن الذي يحفظ سواء كان مثله في المرتبة أم فوقه أم تحته، فإن بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر ويتأكد ويتقرر ويزداد بحسب كثرة المذاكرة. ومذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أيام، وليكن المذاكر في مذاكرته متحرياً الإنصاف قاصداً الاستفادة أو الإفادة غير مترفع على صاحبه بقلبه ولا بكلامه، ولا يغير ذلك من حاله، مخاطباً له بالعبارة الجميلة اللينة فبهذا ينمو علمه وتزكو محفوظاته.(٥)

قال أبو بكر الخلال: ينبغي لأهل العلم أن يتخذوا للعلم المعرفة له والمذاكرة به

ومع ذلك كثرة السماع وتعاهده والنظر فيه، فقد كان أول من عني بهذا الشأن شعبة بن الحجاج ثم كان بعده يحيى بن سعيد القطان وتعاهد الناس بعد ذلك بتعاهدهما ثم كان بعد هذين ثلاثة لم يكن لهم رابع، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني(٦).

وأنشد عبدُ الله بن المبارك في المذاكرة(٧).

ما لذتي إلا روايـــة مسند … قد قيدت بفصاحة الألفاظ
ومجالس فيهـا عليّ سكينة … ومذاكرات معاشر الحفاظ
نالوا الكرامـــة والنهى … من ربهم برعايـة وحفاظ
لاظوا(٨) برب العرش لما أيقنوا … أن الجنــان لعصبة لواظ

المطلب الثاني: تاريخها:

يمكن الجزم أن المذاكرة نشأت منذ بزوغ فجر الإسلام والصحابة حول النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه قال: كنا قعوداً مع النبي صلى الله عليه وسلم فعسى أن يقول: قال ستين رجلاً فيحدثنا الحديث ثم يدخل لحاجته فنراجعه بيننا هذا ثم هذا فنقوم كأنما زُرِع في قلوبنا»(٩)، ويشهد له ما رواه أبو نضرة قال: قلت لأبي سعيد: أكْتِبنا قال: لن نكتبكم ولن نجعله قرآناً ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم، كان أبو سعيد يقول: تحدثوا فإن الحديث يُذَكِّر بعضه بعضاً».(١٠)

قال الإمام علي رضي الله عنه: تداوروا وتذاكروا هذا الحديث إن لا تفعلوا يدرس(١١).

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: تداوروا وتذاكروا فإن الحديث يذكر الحديث.(١٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سمعتم مني حديثاً فتذاكروه بينكم فإنه أجدر وأحرى أن لا تنسوه.(١٣)

روى البخاري حديثاً في فضل السجود: «وفيه ويبقى رجل بين الجنة والنار...

الحديث، حتى إذا وصل إلى قول الله تعالى: تَمَنَّ، وفيه لك ذلك ومثله معه، قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل لك ذلك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله: لك ذلك ومثله معه، قال أبو سعيد الخدري: إني سمعته يقول ذلك، لك وعشرة أمثاله.(١٤)

ومما تقدم تظهر العناية الفائقة من الصحابة رضي الله عنهم بمذاكرة الحديث بعد سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم ليثبت في صدورهم ليأتي دورهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيؤدوه كما سمعوه، ومآثرهم دلت بحق أنهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم وأوعية العلم الرباني فقد صانوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى نقلوه إلى الأمة وأمروا تلامذتهم من التابعين أن يسيروا على نهجهم حتى لا يضيع ولا ينسى.

عن فضالة بن عبيد أنه كان إذا أتاه أصحابه قال: تدارسوا وأبشروا وزيدوا زادكم الله خيراً وأحبكم وأحَبَّ من يُحبكم، ردوا علينا المسائل فإن آخرها كأجر أولها، واخلطوا حديثكم بالاستغفار(١٥).

وقال الأعمش: «إن لنا كتباً نتعاهدها» أي بالمذاكرة.(١٦)

قال الأوزاعي: كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله.(١٧)

المبحث الثاني:

المطلب الأول: فوائد المذاكرة:

تحدث العلماء عن فوائد المذاكرة وأجملها بما يأتي:

١- **تزيد الضبط** قال الرامهرمزي: «والحديث لا يضبط إلا بالكتاب ثم بالمقابلة والمدارسة والتعهد والتحفظ والمذاكرة والسؤال».(١٨)

وقد كان ابن أبي ليلى يجتمع مع عبد الله بن شداد فيتذاكران الحديث فجعل ابن شداد يقول: يرحمك الله كم من حديث أحييته في صدري قد مات وجعل ابن

أبي ليلى يقول: إن إحياء العلم مذاكرته.(١٩)

٢- عدم النسيان، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تذاكروا الحديث لا ينفلت منكم فإنه ليس مثل القرآن، مجموع محفوظ، وأنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم ولا يقول أحدكم حدثت بالأمس فلا أحدث اليوم، بل حدث أمس ولتحدث اليوم ولتحدث غداً.(٢٠)

وقال مرة: ردوا الحديث واستذكروه، فإنه إن لم تذكروه ذهب ولا يقولن رجل لحديث قد حدثته مرة، فإنه من كان سمعه يزداد علماً، ويسمع من لم يسمع(٢١).

٣- تظهر منزلة الحفاظ ومكانتهم من غيرهم.

اجتمع الإمام أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح المصري ببغداد في منزل أحمد ابن جنبل: فقال: أحمد بن حنبل: بلغني أنك جمعت حديث الزهري فتعال حتى نتذاكر ما روى الزهري عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلا يتذاكران، لا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا.(٢٢)

قال ابن أبي حاتم: «كان الشعبي وأبي الضحى وإبراهيم وأصحابنا يجتمعون في المسجد فيتذاكرون الحديث، فإذا جاءهم شيء ليس فيه رواية رموا أبصارهم إلى إبراهيم».(٢٣)

وهي تبين من كان يحفظ وعدد ما يحفظ، قال أبو زرعة الرازي: «حزرنا حفظ أحمد بن حنبل بالمذاكرة على سبعمائة ألف حديث، وفي لفظ آخر، كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، قيل لهُ وما يدريك قال: ذاكرته على الأبواب».(٢٤)

وهي تظهر من تصدر لها من أهل العلم أيضاً.

قال أبو هريرة الواسطي: «كانت الحلقة لعبد الرحمن بن مهدي في مسجد الجامع وكان معاذ بن معاذ يقعد إلى سارية في الصدر عن يمينه يحيى ين سعيد، وعن يساره خالد بن الحارث، وعبد الرحمن لهُ مسائله والمذاكرة وهؤلاء مرة بعد مرة الحديث بعد الحديث».(٢٥)

قال ابن أبي حاتم: «أخبرنا محمود بن آدم المروزي فيما كتب إليّ قال: رأيت

وكيعاً وبشر السري يتذاكران ليلة من العشاء إلى أن نودي بالفجر فلما أصبحنا قلنا لبشر: كيف رأيت وكيعاً؟ قال: ما رأيت أحفظ منه».(٢٦)

وقال الزهري: «كنت أحسب بأني أصبت من العلم فجالست عبيدالله بن عبدالله ابن مسعود فكأني كنت في شعب من الشعاب.(٢٧)

قال ابن العميد: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والوزارة التي أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة الطبراني والجعابي، فجعل الطبراني يغلب الجعابي بكثرة الحفظ وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هاته فقال الطبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب، ومني سمعه أبو خليفة عني، فاسمعه مني حتى يعلو إسنادك، فإنك تروي عن أبي خليفة عني، فخجل الجعابي وغلبه الطبراني، فقال ابن العميد: فوددت في مكان الوزارة والرياسة ليست لي وكنت الطبراني وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث.(٢٨)

قال أبو زرعة: «إنما الحفظ للمشاهدة ولصاحبه التقدم والرياسة والمذاكرة».(٢٩)

قال عبد الرحمن بن مهدي: «كنت أذاكر سفيان الثوري بحديث حماد بن زيد ولا أسميه، فإذا جاءه حماد بن زيد سأله عن تلك الأحاديث فجعل يتعجب من فطنته».(٣٠)

وقال أبو معاوية: «كان سفيان يأتيني هاهنا فيذاكرني حديث الأعمش فما رأيت أحداً أعلم بحديث الأعمش منه».(٣١)

٦- يستدرك بها زيادة العلم وما يفوت المحدث من حديث الشيوخ

قال الشاذكوني: دخلت الكوفة نيفاً وعشرين دخلة، أكتب الحديث، فأتيت حفص ابن غياث أكتب حديثه فلما رجعت إلى البصرة وصرت في بنائه لقيني ابن خدويه فقال لي: يا سليمان من أين جئت؟ قلت من الكوفة قال: حديث مَنْ كتبت؟ قلت: حديث حفص بن غياث قال أكتبت علمه كله؟ قلت: نعم، قال: أذهب عليك منه شيء؟ قلت: لا قال: فكتبت عنه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أبي سعيد الخدري: أن

النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبش فحيل كان يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد[٣٢] «قلت: لا، قال: فأسخن الله عينيك إيش كنت تعمل في الكوفة؟ قال: فوضعت خرجي عند الترسين ورجعت؟ قلت: لم رجعت؟ قلت: إن ابن خدويه ذاكرني عنك بكذا وكذا، قال: فحدثني ورجعت ولم يكن لي حاجة في الكوفة غيرها».[٣٣]

وربما يستدرك أحدهم حديثاً يستحسنه فيكتبه.

قال ابن أبي حاتم: سمع أبي من محمد بن نباته السري في المذاكرة حديثاً فاستحسنه فكتبه عنه[٣٤].

وكتب أبو حاتم الرازي عن محمد بن إبراهيم الأنماطي في المذاكرة.[٣٥]

وهذا يحيى بن سعيد القطاف كان يكثر عن سفيان فقال الإمام أحمد: إنما كان يتبع ما لم يكن سمعه فيكتبه.[٣٦]

وهي تكشف عوار من لم يحفظ.

قال ابن حبان: الثقة الحافظ إذا حدث من حفظه وليس بفقيه، لا يجوز عندي الاحتجاج بخبره، لأن الحفاظ الذين رأيناهم أكثرهم كانوا يحفظون الطرق والأسانيد دون المتون، ولقد كنا نجالسهم برهة من دهرنا على المذاكرة ولا أراهم يذكرون متن الخبر إلا كلمة واحدة يشيرون إليها ما رأيت على أديم الأرض من كان يحسن صناعة السنن كلها نصب عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله فقط، فإذا كان الثقة الحافظ لم يكن فقيهاً وحدّث من حفظه فربما قلب المتن وغيَّر المعنى حتى يذهب الخبر عن معنى ما جاء فيه، ويقلب إلى شيء ليس منه وهو لا يعلم، فلا يجوز عندي الاحتجاج بخبر من هذا نعته إلا أن يُحَدِّث من كتاب أو يوافق الثقات فيما يرويه من متون الأخبار.[٣٧]

قال وكيع رحمه الله: «لقيت يونس بن يزيد الأيلي فذاكرته بأحاديث الزهري المعروفة فجهدت أن يقيم لي حديثاً فما أقامه»[٣٨].

قال الحاكم: سألت السبيعي عن حديث إسماعيل بن رجاء فقال: له قصة قرأ

علينا ابن ناجية مسند فاطمة بنت قيس، فدخلت على الباغندي فقال: من أين جئت، فقلت من مجلس ابن ناجية، قال: فما قرأت؟ قلت أحاديث الشعبي؟ عن فاطمة بنت قيس فقال: قرأ لكم حديث إسماعيل بن رجاء عن الشعبي؟ فنظرت في الجزء فلم أجده، فقال: اكتب ذكر أبو بكر بن أبي شيبة، فقلت: عمر ومعه التدليس؟ فقال: حدثني محمد بن عبيدة الحافظ أنا ابن المعلى الأثرم أنا أبو بكر محمد بن بشير العبدي عن مالك بن مغول عن إسماعيل بن رجاء عن الشعبي عن فاطمة قصة الطلاق والسكنى والنفقة. ثم انصرفت إلى حلب وكان عندنا بغدادي فذكر له هذا فخرج إلى الكوفة وذاكر ابن عقدة فكتب عنه هذا الحديث عني عن الباغندي، ثم اجتمعت مع فلان، يعني الجعابي فذاكرته بهذا فلم يعرفه، ثم اجتمعا بعد سنين بدمشق، فاستعادني إسناده تعجباً، ثم اجتمعنا ببغداد، فذكرنا هذا الباب فقال: ثناه علي بن إسماعيل الصفار، أنا أبو بكر الأثرم، أنا ابن أبي شيبة أن الأثرم هذا غير ذاك، فذكرت قصتي لفلان المفيد، وأتي عليه سنون فحدث بالحديث عن الباغندي، ثم قال السبيعي: المذاكرة تكشف عوار من لا يصدق.(٣٩)

المطلب الثاني: تنوع المذاكرة عند الحفاظ:

١) المذاكرة مع النفس

كان الزهري رحمه الله يتذاكر الحديث مع نفسه، فمرة وضع طست بين يديه فذكر حديثاً، فلم تزل يده في الطست حتى طلع الفجر، حتى صححه.(٤٠)

وقال سفيان: «اجعلوا الحديث حديث أنفسكم أو فكر قلوبكم تحفظوه».(٤١)

٢) المذاكرة مع الغير

قال جعفر المراغي: دخلت مقبرة بتستر، فسمعت صائحاً يصيح: والأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، والأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، ساعة طويلة، فكنت أطلب الصوت إلى أن رأيت ابن زهير وهو يدرس مع نفسه من حفظه حديث الأعمش.(٤٢)

وكان الزهري رحمه الله يحدث به الأعاريب، وكذا جاريته يوقظها وهي نائمة، فتقول: مالي ولهذا الحديث، فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعين به، ولكن سمعته الآن

فأردت أن أستذكره.[٤٣] وتقدم في ثنايا البحث ما ذكره كثير من أهل العلم ومذاكراتهم مع بعضهم بعضاً.

المطلب الثالث: أوقات المذاكرة وأماكنها:

١) وقت المذاكرة:

إن وقت المذاكرة لا يتحدد بوقت على الأغلب إلا أنه متى ما تفجرت في أذهان الحفاظ تأتي.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: «وأصفى ما يكون ذهن الإنسان وقت السحر».[٤٤]

ويذكر ابن جماعة قوله: «وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الإبكار وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل».[٤٥]

٢) مكان المذاكرة:

وهناك أخبار منقولة عن أهل العلم تحكي لنا كثيراً من مذاكراتهم فيما بينهم عند اللقاء سواء كان في المسجد أو في بيت أحدهم أو في الحج أو زيارة المدينة أو غير ذلك.

قال علي بن الحسن بن شقيق: «قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد فذاكرني عند الباب بحديث، فذاكرته فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذن للفجر».[٤٦]

ويتكرر مثل هذا عند غير واحد من الحفاظ فينشغلون بالمذاكرة فتنسيهم الوقت حتى الفجر، يقول ابن أبي حاتم: "أخبرنا محمد بن آدم المروزي فيما كتب إليّ: قال: رأيت وكيعاً وبشر بن السري يتذاكران ليلة من العشاء إلى أن نودي بالفجر فلما أصبحنا قلنا لبِشْر: كيف رأيت وكيعاً؟ قال: ما رأيت أحفظ منه».[٤٧]

قال عون بن حكيم: «خرجت مع الأوزاعي حاجاً فلما أتينا المدينة أتى الأوزاعي المسجد، وبلغ مالكاً مقدمه، فأتاه مُسلّماً عليه فجلسا من بعد صلاة الظهر يتذاكران

العلم فلم يذكرا باباً من أبوابه إلا غلب الأوزاعي عليه فيه، ثم حضرت صلاة العصر، فصليا، ثم جلسا وعاودا المذاكرة كل ذلك يغلب عليه الأوزاعي فيما يتذاكران فلما احمرّت الشمس ناظره في باب المكاتب والمدبر فخالفه مالك بن أنس فيه».(٤٨)

ومذاكرة المسائل المختلفة والرواية تداوي النفوس فيما يكون ذلك قربة إلى الله وصيانة لهذا الدين من خلال إحياء الأساليب التي اتخذوها لمراجعة المحفوظ والتذكير به فيما بينهم، ولربما كانت المذاكرة عند بعضهم محببة إليهم أكثر من إحياء الليل.

قال قتادة: «قال ابن عباس: تذكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها».(٤٩)

ويقول عبد الله بن عتبة: «لقد أتينا أم الدرداء فتحدثنا عندها فقلنا أمللناك يا أم الدرداء؟ فقالت ما أمللتموني، لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئاً أشفى لنفسي من مذاكرة العلم أو قال: مذاكرة الفقه».(٥٠)

وهذا إسماعيل بن يوسف الديلمي كان من أصحاب الإمام أحمد، كان يعبر الجانب الشرقي -أي دجلة- قاصداً محمد بن إشكاب الحافظ فيذاكره بالمسند.(٥١)

وربما تكون عند باب المسجد كما حصل لسفيان بن عيينة مع عمرو بن دينار.

قال سفيان: كان أبي صيرفياً بالكوفة فركبه الدين فحملنا معه إلى مكة فلما رحنا إلى المسجد لصلاة الظهر وصرت إلى باب المسجد، إذا شيخ على حمار، فقال: يا غلام امسك عليّ هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع، فقلت ما أنا بفاعل أو تحدثني، قال: وما تصنع أنت واستصغرني، فقلت: حدثني، فقال: حدثني جابر ابن عبد الله، وحدثنا ابن عباس، فحدثني بثمانية أحاديث، فأمسكت حماره، وجعلت أتحفظ ما حدثني فلما صلى وخرج قال: ما نفعك ما حدثتك؟ حبستني! فقلت: حدثتني بكذا، وحدثتني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به، فقال: بارك الله فيك تعال غداً إلى المسجد فإذا هو عمرو بن دينار.(٥٢)

والإمام أحمد كان يذاكر سفيان ويكثر عنه وهو على باب بيته، فيتذاكر معه الحديث والمسائل والفقه(٥٣). وقد يصل به الحال أن يكتب الذي لم يكن سمعه.(٥٤)

وكان إسحاق الكوسج قد دون المسائل في الفقه عن أحمد بن حنبل فبلغه أن الإمام أحمد رجع عن تلك المسائل التي علقها عنه فجمع إسحاق تلك المسائل في جراب وحملها على ظهره وخرج راجلاً إلى بغداد وهي على ظهره، وعرض خطوط أحمد عليه في كل مسألة استفتاه فيها، فأقر له بها ثانياً، وأعجب أحمد بذلك من شأنه.(٥٥)

المبحث الثالث:

المذاكرة وموضوعاتها المختلفة:

كانت غالب موضوعات المذاكرة السؤال عن الأحاديث في أبواب العلم ومدى حجية تلك الأحاديث، قال البخاري: اجتمع علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد وأبو خيثمة وشيوخ من شيوخ العلم فتذاكروا حديث عمرو بن شعيب فثبتوه، وذكروا أنه حجة(٥٦).

وهذا يعني أنهم إذا اختلفوا في شيء يصلون من خلال الوسائل المتاحة لهم ومنها المذاكرة ليبيّنوا الحجية من عدمها.

وربما يحتاج المحدث حديث غيره فيكشفه بالمذاكرة فيفاد من المجلس كما حصل لمحمد بن يزيد الإسفاطي، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: كان محمد ابن يزيد الاسفاطي يحفظ التفسير وولع به، وكان يلقي عليّ وعلى أبي زرعة التفسير، فإذا ذاكرته بشيء لا يحفظه كان يقول: يا بني أفدني.(٥٧)

المطلب الأول:

المذاكرة تنقل الرواية بين الحفاظ:

قال الرامهرمزي: حدثنا موسى بن زكريا أبو عمران، ثنا أبو عمر الباهلي، قال: كنا عند عبد الرحمن بن مهدي، فقام إليه خراساني، فقال: يا أبا سعيد حديث رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم «من ضحك في الصلاة فليعد الوضوء والصلاة»(٥٨).

فقال عبد الرحمن: هذا لم يروه إلا حفصة بنت سيرين عن أبي العالية عن

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: من أين قلت؟ قال: إذا أتيت الصراف بدينار فقال لك: هو بهرج تقدر أن تقول له من أين قلت؟ قلت: ففسره لنا قال: إن هذا الحديث لم يروه إلا حفصة بنت سيرين عن أبي العالية عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعه هشام بن حسان من حفصة، وكان في الدار معها، فحدث به هشامُ الحسنَ، فحدّث به الحسن فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فمن أين سمعها الزهري، قال: كان سليمان بن أرقم يختلف إلى الحسن وإلى الزهري، فسمعه من الحسن فذاكر به الزهري، فقال الزهري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله.

المطلب الثاني:

المذاكرة في نفوس أهل العلم:

قال قتادة: قال ابن عباس: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها.(٥٩)

قال عبد الله بن الإمام أحمد: لما قدم أبو زرعة -بغداد- نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، سمعت أبي يوماً يقول: ما صليت غير الفرض، استأثرت مذاكرة أبي زرعة على نوافلي.(٦٠)

وهذا الخليل بن أحمد، يقول أقسم أيامي أربعة أقسام: يوم أخرج فألقى فيه من هو أعلم مني، فأتعلم منه فذاك يوم فائدتي وغنيمتي، ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه، فأعلمه فذاك يوم أجري، ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلي، فأذاكره، فذاك يوم درسي، ويوم أخرج فيه فألقى من هو دوني، وهو يرى أنه فوقي، فلا أكلمه وأجعله يوم راحتي.(٦١)

المطلب الثالث: المذاكرة تكشف عن الراوي كما تكشف عن الحديث:

وقال ابن أبي حاتم في ترجمة طارق بن عبد العزيز بن طارق العبدي قال أبي: شيخ يذاكر بحديثه.(٦٢)

وذكر يحيى بن عباد الضبعي عند الإمام احمد فقال: أول ما رأيته في مجلس أسباط كيِّس، يذاكر الحديث، وكتبت عنه.(٦٣)

وربما العكس إذ يظهر من خلال المذاكرة الراوي الضعيف والذي لا يحسن الحديث فهذا حماد بن أبي الجعد كان يحفظ الحديث ويذاكر به، ولكنه كان يهم في المذاكرة.[٦٤]

وهذا محمد بن جابر بن يسار بن طلق كان يسرق الحديث من المذاكرة.[٦٥]

المطلب الرابع: الكتابة عن المحدث في المذاكرة:

قال الخطيب: إذا أورد المحدث في المذاكرة شيئاً أراد السامع لهُ أن يدونه عنه، فينبغي له إعلام المحدث بذلك، ليتحرى في تأدية لفظه وحصر معناه، وكان عبد الرحمن بن مهدي يُحرِّج على أصحابه أن يكتبوا عنه في المذاكرة شيئاً، ويعلل عبد الرحمن بن مهدي ذلك بقوله: حرام عليكم أن تأخذوا عني في المذاكرة حديثاً لأني إذا ذاكرت تساهلتُ في الحديث.[٦٦]

وينقل الخطيب بسنده إلى ابن المبارك قوله: «لا تحملوا عني في المذاكرة شيئاً، وقال إبراهيم: لا تحملوا عني في المذاكرة شيئاً.

وقال أبو زرعة: لا تحملوا عني في المذاكرة شيئاً.[٦٧]

وقال الخطيب: واستحب لمن حفظ عن بعض شيوخه في المذاكرة شيئاً، وأراد روايته عنه أن يقول: حدثناه في المذاكرة، فقد كان غير واحد من متقدمي العلماء يفعل ذلك.[٦٨]

ولهذا ذهب بعض أهل العلم أن المعلقات في صحيح البخاري ما كان منها بصيغة الجزم قد سمعها البخاري حال المذاكرة، أو أخذها بالمذاكرة.[٦٩]

إنما دل هذا على تساهلهم في المذاكرة لأنها وسيلة لتثبت المحفوظ عندهم وإحيائه فيما بينهم، ولم يكن فيها الحرص على الإتقان والضبط وقصد الرواية، بل كان القصد الاجتماع والاستذكار وإحياء الحفظ من الصدور.

أهم النتائج:

بعد هذه الدراسة الموجزة توصلت إلى أهم النتائج في هذا البحث

١- الوقوف على منزلة المذاكرة عند الحفاظ.

٢- للمذاكرة منزلة كبيرة في التثبت من الحفظ بين أهله.

٣- الاشتغال بها في مختلف الأوقات بمنزلة العبادة.

٤- المذاكرة وسيلة من وسائل الفحص عند المحدثين.

٥- التلذذ بالمذاكرة عند العلماء.

٦- الوقوف على الموضوعات المتنوعة والمختلفة التي كانت تدور بين المحدثين.

المراجع:

١- البخاري: صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، اسطنبول.

٢- الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ط١، ١٩٩٦م.

٣- الخميس عبد الرحمن: معجم علوم الحديث النبوي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٠.

٤- الدارمي: السنن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١.

٥- الذهبي: تذكرة الحفاظ، مصور.

٦- الرامهرمزي: المحدث الفاصل، دار الفكر، مصور.

٧- الصنعاني عبد الرزاق: المصنف.

٨- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣.

٩- الفراء أبو يعلى، طبقات الحنابلة، دار الكتب العلمية.

١٠- النووي: شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.

١١- الهيثمي: مجمع الزوائد، مؤسسة المعارف.

١٢- ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، مصور.

١٣- ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

١٤- ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الكتب العلمية.

١٥- ابن حبان: المجروحين، دار الوعي، حلب.

١٦- ابن حجر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

١٧- ابن حجر: هدي الساري، مقدمة فتح الباري، الدار السلفية، مصر ١٤٠٧هـ.

١٨- ابن حجر: تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط٤، ١٩٩٢.

١٩- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية.

٢٠- ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت.

٢١- أبو داود: السنن، دار الحديث، حمص، ط١، ١٩٧٣.

الهوامش:

(١) الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٥٤٦.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤١٢، دار الكتب العلمية ط١، ١٩٩٦.

(٣) الزبيدي، تاج العروس ٣/٢٢٦، دار إحياء التراث.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٥٠٧ مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣. وابن منظور لسان العرب ١/١٧٠، دار لسان العرب، بيروت.

(٥) عبد الرحمن الخميس ، معجم علوم الحديث النبوي ٢٠٧، دار ابن حزم ط١، ٢٠٠٠.

(٦) شرح مسلم للنووي. طبقات الحنابلة ٢/٣.

(٧) الرامهرمزي: المحدث الفاصل (٥٤٨).

(٨) أي تقربوا إليه، القاموس المحيط ص ٩٠١.

(٩) الخطيب الجامع لأخلاق الراوي ١١٣، والهيثمي مجمع الزوائد ١/١٦٦ ،مؤسسة المعارف وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف. انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب ص٥٩٩، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط٤، ١٩٩٢.

(١٠) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ١/١٦٦.

(١١) الدارمي، السنن ١/١٥٩، دار القلم، دمشق، ط١ ١٩٩١م.

(١٢) الدارمي، السنن ١/١٥٣.

(١٣) الرامهرمزي، المحدث الفاصل ص ٥٤٧.

(١٤) البخاري: صحيح البخاري ١/١٩٦، المكتبة الإسلامية، اسطنبول.

(١٥) رواه الطبراني، ورجاله موثقون، مجمع الزوائد ١/١٦٦.

(١٦) جامع بيان العلم وفضله، ٣٢٥/١.

(١٧) المصدر السابق ٢٩٠/١.

(١٨) الرامهرمزي، المحدث الفاصل ٣٨٥.

(١٩) جامع بيان العلم وفضله، ٤٢٨/١.

(٢٠) الدارمي: السنن ١٥٤/١.

(٢١) المصدر السابق ١٥٥/١.

(٢٢) طبقات الحنابلة ٤٩/١.

(٢٣) الجرح والتعديل ١٤٤/٢.

(٢٤) طبقات الحنابة ٦/١.

(٢٥) الجرح والتعديل ٢٥١/١، ٢٩٠/٥.

(٢٦) الجرح والتعديل ٢١١/١.

(٢٧) الدارمي، السنن١٥٨/١.

(٢٨) طبقات الحنابلة٥٠/٢.

(٢٩) المحدث الفاضل، ٣٨٧.

(٣٠) الجرح والتعديل ٦١/١.

(٣١) الجرح والتعديل ٦٤/١.

(٣٢) أبو داود: السنن ٢٣٢/٣ الضحايا، سنن الترمذي رقم ١٤٩٦ وقال حسن صحيح.

(٣٣) المحدث الفاصل ص ٢١٥.

(٣٤) الجرح والتعديل ١١٠/٨.

(٣٥) المصدر السابق ١٨٧/٧.

(٣٦) المصدر السابق ١٥٠/٩.

(٣٧) المجروحين ٩٣/١.

(٣٨) الجرح والتعديل ٢٢٤/١.

(٣٩) تذكرة الحفاظ ١٥٣/٣.

(٤٠) الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي ص٤٠٦.

(٤١) المصدر السابق ص ٤٠٦.

(٤٢) الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٠٦.

(٤٣) المصدر السابق ص ٤٠٦.

(٤٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/٢١٦.

(٤٥) ابن الكناني: تذكرة السامع والمتكلم ص٧٣، دار الكتب العلمية.

(٤٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٢٥٥.

(٤٧) الجرح والتعديل ١/٢١١.

(٤٨) المصدر السابق ١/١٨٥.

(٤٩) الدارمي، السنن ١/١٤٩.

(٥٠) جامع بيان العلم وفضله ١/٤٢٩.

(٥١) طبقات الحنابلة ١/١٠٧.

(٥٢) المحدث الفاصل ص ١٩٨.

(٥٣) الجرح والتعديل ٩/١٦٩.

(٥٤) المصدر السابق ٩/١٥٠.

(٥٥) طبقات الحنابلة ١/١١٤.

(٥٦) المصدر السابق ١/٢٧٣.

(٥٧) الجرح والتعديل ١/٣٥٧.

(٥٨) الطبراني من حديث أبي موسى، مجمع الزوائد ١/٢٤٦.

(٥٩) المصنف رقم ٢٠٤٦٩، وسنن الدارمي ١/١٤٩.

(٦٠) طبقات الحنابلة ١/١٩٩.

(٦١) جامع بيان العلم ١/٥٣٥.

(٦٢)جامع بيان العلم ٤/٤٨٨.

(٦٣) المصدر السابق.

(٦٤) ابن حبان، المجروحين ١/٢٨٨، دار الوعي، حلب.

(٦٥) المجروحين ٣/٧٠.

(٦٦) الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص٢٥٢-٢٥٣، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م.

(٦٧) المصدر السابق ص ٢٥٣.

(٦٨) الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٢٥٣.

(٦٩) ابن حجر، النكت على ابن الصلاح ص٨٨، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، وهدي الساري مقدمة فتح الباري، الدار السلفية، مصر، ١٤٠٧هـ.